



المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : خيارات محدودة

عنوان الموضوع : الدور الإسرائيلي في شرق أوسط متغير

تاريخ النشر : 13/02/2015

اسم الكاتب : Itamar Rabinovich

الموضوع :

إعداد: أحمد عاطفشهدت منطقة الشرق الأوسط مع بداية العقد الثاني من الألفية الجديدة متغيرات رئيسية، بعد اندلاع الثورات العربية، التي أثبتت أن منظومة التفاعلات في المنطقة أصبحت أكثر مرونة، كما كانت لها تداعيات بالغة التعقيد على شعوب هذه المنطقة، ومن بينها تراجع دور الدولة الوطنية في مقابل انتشار الفاعلين من غير الدول والتنظيمات المسلحة، ولعل "داعش" أبرز مثال على ذلك، مما نتج عنه مرحلة من الفوضى الأمنية مازال يعانيها الإقليم حالياً. وسعيًا نحو التعرف على وضع إسرائيل في ظل هذه المتغيرات الإقليمية، نشر زميل في مركز سياسات الشرق الأوسط بمعهد بروكينجز، حيث تناول **Itamar Rabinovich** معهد بروكينجز الأمريكي دراسة بعنوان: "إسرائيل والشرق الأوسط المتغير"، أعدها خلالها ملامح تغيير الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط خلال السنوات الخمس الأخيرة، وتدابير الثورات العربية، والتحديات التي تواجهها إسرائيل، والخيارات المتاحة أمامها بشأن علاقاتها مع بعض دول الإقليم، وتحديد مدى قدرة تل أبيب على التأثير في مجريات الأحداث في المنطقة بتغيير النظام الإقليمي وظهور أربعة محاور بداية، تشير الدراسة إلى أن النظام الإقليمي في الشرق الأوسط في حالة تغير مستمر، وهذه المنطقة لم تنسم بالاستقرار نتيجة الاضطرابات الداخلية والزلاعات بين دولها، والتنافس بين القوى العظمى. وقد شهدت أواخر السبعينيات من القرن الماضي، وتحديدًا مع اندلاع "الثورة الإسلامية" في إيران عام 1979، تحول إيران فجأة من دولة هامشية إلى لاعب مركزي في الساحة السياسية بالشرق الأوسط. وحدث ذلك بالمثل مع وصول أردوغان إلى السلطة، وتحول تركيا لاحقًا من التوجه الأوروبي لسياسة خارجية أكثر تركيزًا على جوارها المباشر إلى الجنوب والشرق، وكونها أضحت لاعبًا سياسيًا بارزًا في المنطقة خلال السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين. ومن ثم كان دخول هاتين القوتين (طهران وأنقرة) إلى الساحة الإقليمية، له تأثير عميق على المعادلات السياسية في المنطقة. فإيران وتركيا دولتان مسلمتان، وكبيرتان من حيث عدد السكان، وتسعيان لنشر نموذجهما من "الديمقراطية الإسلامية" في العالم العربي. وخلال تسعينيات القرن الماضي، وفي أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي، ونجاحها في حرب الخليج الأولى، وكراع لعملية السلام العربية - الإسرائيلية؛ حظيت الولايات المتحدة بتأثير غير مسبوق في الشرق الأوسط. ومع ذلك، ومنذ بدايات الألفية الجديدة تغير وضع واشنطن وتقلص دورها في الشرق الأوسط، ورؤيتها لهذه المنطقة، وكذلك السياسة المتعددة من التطورات: (الحروب الفاشلة في العراق وأفغانستان، وفشل الحزبين الجمهوري والديمقراطي في تشجيع أو فرض الديمقراطية في العالم العربي، والانهيار أو الفشل في إحياء عملية السلام الإسرائيلية- الفلسطينية، وتناقص أهمية نفوذ الشرق الأوسط بالنسبة للاقتصاد الأمريكي، والفشل في التعامل مع الحرب الأهلية السورية). وغني عن القول، أن أحداث السنوات الخمس الماضية في الشرق الأوسط كان لها تأثير عميق على النظام السياسي الإقليمي. وبشكل عام، فإنه عند محاولة تحديد النموذج الحالي في الشرق الأوسط، تشير الدراسة إلى أربعة محاور إقليمية: 1- إيران وتابعيها، وهم النظام العراقي (بدرجة محدودة)، ونظام بشار الأسد في سوريا، وحزب الله في لبنان. 2- تركيا وقطر، والفاعلون من غير الدول مثل جماعة الإخوان المسلمين، و"حماس" في قطاع غزة. 3- الدول المعتدلة والمحافظ، وتشمل دول الخليج (على الرغم مما بينها من بعض الخلافات الراهنة)، ومصر تحت رئاسة عبدالفتاح السيسي، والأردن، والمغرب، والجزائر. 4- محور التنظيمات الجهادية، والمكون من "داعش"، وتنظيم "القاعدة"، والجماعات التابعة لها في جميع أنحاء المنطقة بيئة استراتيجية جديدة على مدى العقود الخمسة الأولى من وجودها، كان مصدر القلق الرئيسي للأمن القومي الإسرائيلي هو الحروب التقليدية، بمعنى كيفية الردع وكسب الحروب التقليدية. ولكن في الوقت الحاضر والمستقبل المنظور، فإن إسرائيل لا تواجه تهديدًا عسكريًا تقليديًا، فهي في سلام مع مصر والأردن، كما أن الجيوش السورية والعراقية دُمّرت بسبب التطورات الداخلية والغزو الأمريكي للعراق عام 2003. ومن ثم، يرى الكاتب أن التهديدات التقليدية قد حلت محلها تحديات جديدة، يتعلق أحدًا ببناء إيران ترسانة نووية، ويعد ذلك تحديًا صعبًا، ويختلف عن نجاح إسرائيل في إجهاد التجربة العراقية عام 1981، والسورية عام 2007. وقد كان تهديد إسرائيل بتوجيه ضربة عسكرية لإيران بلوح في الأفق بشكل كبير عامي 2012 و2013، بيد أن هذا التوجه تراجع منذ ذلك الحين بعد الاتفاق المؤقت الذي توصلت إليه إيران ومجموعة (1+5) التي تضم (الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وألمانيا). ويحذر الكاتب من أنه في حال الانهيار التام لهذه المفاوضات أو التوصل إلى اتفاق نهائي غير مرض لإسرائيل، فإن ذلك قد يدفع الأخيرة لإحياء خيار التهديد العسكري، خاصة إذا أسفرت انتخابات مارس 2015 عن تشكيل حكومة يمينية بحتة. وثمة تحدٍ آخر بالنسبة لإسرائيل، وهو تبني بعض دول الجوار وخصومها ترسانات صواريخ وقذائف، حيث إن إيران لديها ترسانة كبيرة من الصواريخ متوسطة المدى، وكذلك سوريا التي تقلصت ترساناتها وإن لم يتم القضاء عليها تمامًا بسبب الحرب الأهلية. واستنادًا إلى صراعاتها الماضية وكذلك المستقبلية المحتملة مع كل من "حزب الله" و"حماس"، يرى الكاتب أنه يتعين على إسرائيل التعامل مع هذا البُعد الجديد، فحزب الله وحماس يعززان الطموح الإقليمية الإيرانية، ويمكن أن يعتمدا على ترسانتهما من الصواريخ والقذائف من أجل ردع إسرائيل، أو إجبار تل أبيب - في حالة الحرب - على تصعيد عملياتها إلى حد استعداد الرأي العام العالمي، ومن ثم تآكل شرعيتها. ويتوقع الكاتب ثلاثة سيناريوهات للنزاع المسلح لإسرائيل عام 2015، وهي (جولة أخرى من القتال مع حماس في غزة، وصدام جديد مع حزب الله، والانتقال من الدبلوماسية إلى الصراع العسكري مع السلطة الفلسطينية). والتحديات والفرص الإقليمية لإسرائيل فيما يتعلق بصياغة السياسات الخارجية وتلك المتعلقة بالأمن القومي، تشير الدراسة إلى أن خيارات إسرائيل الحالية على المستوى الإقليمي محدودة وواضحة. فمن بين المحاور الأربعة الرئيسية في المنطقة، ثمة ثلاثة من المرجح أن تظل أعداء لتل أبيب، وفي مقدمتهم بالتأكيد إيران وحلفاؤها. ومن ناحية أخرى، لا يوجد أي احتمال لحدوث تحسن جوهري في العلاقات بين إسرائيل وتركيا، فأردوغان مهتم بالحفاظ على العلاقات الاقتصادية والتجارية ولكن ليس تطبيع العلاقات الدبلوماسية. وفي ظل هذه الظروف، فإن هناك شكوكًا حول احتمالية تصدير الغاز الإسرائيلي عبر تركيا، كما يُتوقع أن تظل أنقرة من أكثر المنتقدين والمنافسين الإقليميين لإسرائيل. أما بالنسبة لقطر، فمن المحتمل أن تواصل إسرائيل سياسة متارحة تجاهها، حيث إن تل أبيب قلقة من دعم الدوحة لحماس، ولكنها في القوات نفسها مهتمة بالحفاظ على جسور مفتوحة من العلاقات مع قطر كفاعل إقليمي مهم. وهكذا، تستنتج الدراسة أن اختيار إسرائيل الواضح هو السعي لتطوير علاقاتها مع الدول المعتدلة والمحافظ: (دول الخليج، مصر، الأردن، المغرب، والجزائر). فإسرائيل ودول مجلس التعاون الخليجي لديها مخاوف مشتركة من برنامج إيران النووي وسعيها للهيمنة الإقليمية، فضلاً عن القلق من صعود التيار الجهادي في المنطقة. وفي الاتجاه ذاته، فإن إسرائيل ومصر لديهما مصالح مشتركة في شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة، وأيضاً لديهما وجهات نظر متشابهة في المنطقة وسياسة الولايات المتحدة بها. كما أن إسرائيل تحافظ على التعاون الأمني مع الأردن، الذي قرر بدوره مؤخراً شراء الغاز الطبيعي الإسرائيلي، وهو ما أثار انتقادات واسعة في عمان. الثورات العربية وصعود "داعش" تشير الدراسة إلى أن وتيرة وشدة التغيير السياسي في الشرق الأوسط على مدى السنوات الخمس الماضية، كانت استثنائية، حيث تحولت أمال "الربيع العربي" في أواخر عام 2010 وعام 2011 إلى حقائق قاتمة من "التفكك الكبير"، في ظل اندلاع الحرب الأهلية السورية، وتفكك الدولة العراقية، وفشل الدولة البنانية، والفوضى في اليمن وليبيا، وصعود "داعش". وفي ضوء ذلك، كان رد الفعل الإسرائيلي محدوداً نوعاً ما، بل وسلبي. وتسلط الدراسة الضوء على عدد من القضايا المختلفة التي تهم إسرائيل، وهي الموضوعات التي تفرضاها الأحداث المتلاحقة حالياً في المنطقة: 1- الأزمة السورية: يرى الكاتب أن أبرز معضلة تواجه إسرائيل هي كيفية التعامل مع الأزمة في سوريا، التي باتت ساحة للقتال والحرب بالوكالة بين القوى المتنافسة. ويحذر الكاتب من أن المصالح الإسرائيلية المهمة أصبحت على المحك، في ظل احتمالية تقسيم سوريا إلى دويلات، وخطر سيطرة الإسلاميين، وتدابير هذه الأزمة على إيران وحزب الله في لبنان، ومصير أنظمة الأسلحة المتطورة وأسلحة الدمار الشامل في سوريا، وأخيراً احتمال فوز تحالف يتألف من روسيا وإيران ونظام الأسد وحزب الله. وفي هذا الصدد، ظهرت مدرستان فكريتان حول كيفية مواجهة مثل هذه التحديات على خلفية الأزمة السورية. المدرسة الأولى ترى أنه على الرغم من كل أخطاء "بشار الأسد"، فإن بقاءه في السلطة هو الأفضل لإسرائيل، حيث إن البديل إما أن يكون الفوضى أو استيلاء الإسلاميين أو الجهاديين أو كليهما على الحكم. فيما تذهب المدرسة الأخرى إلى اعتبار بقاء "الأسد" سيترك إسرائيل في مواجهة تحالف خطير على حدودها الشمالية، يضم إيران وسوريا وحزب الله (تكرى حرب 2006 في لبنان لا تزال حية في الأذهان الإسرائيلية)، في حين أن سقوط نظام "الأسد" يعني هزيمة السياسة والطموحات الإقليمية لإيران، وكذلك يعني خطوة أولى لتفكيك حزب الله في لبنان. ومهما كانت الحجج التي أثارها أنصار هاتين المدرستين، فإن رد فعل إسرائيل إزاء الأزمة السورية كان حذراً ومحدوداً. 2- احتمالية تكوين دولة كردية: تؤكد الدراسة أن إسرائيل معنية بمستقبل الدولة العراقية واحتمالية تفككها، ولكن القضية ذات الأولوية بالنسبة لإسرائيل في السياق العراقي هي احتمالية الاستقلال الكردي. فقد استفاد أكراد العراق من التحول التي بدأت مع الغزو الأمريكي عام 2003 وبلغت ذروتها مع ظهور "داعش" في يونيو 2014، حيث أصبح أكراد العراق يسيطرون حالياً على مزيد من الأراضي والنفط، مما دعم موقفهم في مواجهة بغداد. وعلى الرغم من المعارضة الأمريكية والتركية لإنشاء دولة كردية مستقلة، فإن الكاتب يرى أن لدى إسرائيل مصلحة واضحة في قيام دولة كردية في العراق، وربما في سوريا، حيث إن ذلك ستكون له آثار استراتيجية إيجابية بالنسبة لإسرائيل، لأن ثمة علاقة تاريخية بين إسرائيل والأكراد في العراق، كما أن الطرفين مازال الا يظنران إلى بعضهم البعض كشركاء محتملين. 3- تهديدات الجماعات الجهادية: تواجه إسرائيل تحديات راهنة من قبل الجماعات الجهادية، وتبرز الدراسة في هذا الصدد جماعة "أنصار بيت المقدس" التي تنشط في شبه جزيرة سيناء؛ فعلى الرغم من أن هذه المجموعة معنية في المقام الأول بتنفيذ هجمات تستهدف النظام المصري الحالي، فإنها تتعاون مع مجموعات داخل قطاع غزة، وأطلقت عدداً من الهجمات عبر الحدود المصرية - الإسرائيلية، وحاولت عدة مرات إطلاق صواريخ على مدينة إيلات الإسرائيلية. وهناك أيضاً "جبهة النصرة" في سوريا، وهي فرع من تنظيم "القاعدة"، وتجنبت حتى الآن التعامل مع إسرائيل، مفضلة التركيز على صراعها مع نظام "الأسد". وعلى الرغم من أن فاعليته تضاعلت إلى حد ما بعد الوقت. والأهم من ذلك، هو تنظيم "داعش" في شمال وشرق سوريا، والذي أصبح الجماعة الرئيسية التي تحارب ضد نظام "الأسد". وعلى الرغم من أن فاعليته تضاعلت إلى حد ما بعد الحملة الجوية التي تقودها الولايات المتحدة، فإنه لا يمكن استبعاد قدرة "داعش" على توسيع نفوذه. وقد أثبتت الأحداث الأخيرة في فرنسا وبلجيكا أن التنظيم يشن هجمات إرهابية ضد أهداف يهودية وإسرائيلية خارج منطقة الشرق الأوسط، وهو ما يرجح أن يتصاعد في الفترة المقبلة. ختاماً، تؤكد الدراسة أن قدرة إسرائيل في التأثير على الأحداث والاتجاهات في الساحة الإقليمية بمنطقة الشرق الأوسط لاتزال محدودة، ومن الأرجح أن يكون للانتخابات الإسرائيلية في مارس 2015 تأثير حاسم على سياسات إسرائيل في المنطقة، وتحديدًا تجاه القضية الإسرائيلية: Itamar Rabinovich: الفلسطينية والعالم العربي. * عرض موجز لدراسة بعنوان: "إسرائيل والشرق الأوسط المتغير"، والمنشورة في يناير 2015 عن معهد بروكينجز. المصدر

Israel and the Changing Middle East (Washington, The Brookings Institution, January 2015).